اتصال هاتفي، مزعج ومفيد.

كانت العاشرة ليلا عندما رن هاتفي الخاص ، وبحركات طفولية تسابقت سلاف وخليل لإخباري بالشخص المتصل. حدقوا جيدا في الرقم ولم يفهموا شيئا، تسلمت الهاتف ووجدت أربع نجمات وعلامات كثيرة، ترددت في الاجابة ثم انقطع الرنين. تكررت المحاولة فقررت الإجابة، كان صوتا مبحوحا يبدو بعيدا وقال معذرة عن هذا الاتصال المتأخر، انا كورونا. هل تتذكرني؟ امتلكت اعصابي وقلت له طبعا لقد التقيتك سابقا بمدينة الرباط. فأجاب ، بالضبط واني سأغادر المدينة غدا مساء لأقوم بجولة جنوب الصحراء قبل فوات الأوان. شكرته، وطلبت منه بأدب ما الداعي لهذا الاتصال؟ قال السيد كورونا انه معجب بفضولي خلال لقائنا السابق، فقرر ان يقدم لي توضيحات إضافية لم يذكرها من قبل، وأضاف: لقد قررت ان اتصل بك هاتفيا فقط ولكن نظرا لأهمية الموضوع ، اريد مقابلتك ثانية. قلت له من الصعب علي لقاؤك في الظروف الحالية. ودون ان يترك لي مهلة، غير من نبرة صوته وامرني بالحضور والا فانه سيرسل المئات من أبنائه لإحضاري. ورغم اني امقت الابتزاز و اكره الاستسلام، استسلمت لرغبته حفاظا على سلامة سكان اقامتي وعلى اطفالي وزوجتي وعلى كل الناس الذين يمكن لأبناء كورونا مصادفتهم وهم في طريقهم الى بيتي. ومع ذلك طلبت منه مهلة ، قلت له هل يمكن تأجيل اللقاء الى الصباح؟ فوافق شرط ان أكون في الموعد على الساعة التاسعة صباحا. أقفلت الهاتف بسرعة وذهبت للنوم، تلويت في فراشي مرات عديدة قبل ان انام. وعلى غير عادتي، استيقظت باكرا وعندما نظرت لساعتي، كانت تشير الى الخامسة صباحا.، عدت لأنام وتمنيت استمرار الظلام حتى يجدوا دواء لفتكه. وما بين الخامسة و الثامنة تراقصت عدة قصص في ذهني. المهم وصلت الثامنة ارتديت ملابسي ودعت افراد اسرتي وقلت لهم ربما الوداع. حاولوا ثنيي عن الخروج لكنني رفضت حفاظا على حياتهم وعلى حياة الناس الذين قد اسبب لهم الضرر.

في طريقي الى الموعد كانت الشوارع خاوية الا من الفضوليين وبعض المتهورين، سمعت سفارات الإنذار ورأيت رجالا بمختلف الازياء. انها الحرب كما شاهدت وسمعت من قبل. اوقفني رجال الشرطة عدة مرات، وفي كل مرة يطلبون مني سبب تنقلي وهل اتوفر على الوثيقة التي تسمح لي بالتنقل؟ بالطبع اذا صرحت لهم بسبب تنقلي سيقتادونني مباشرة الى مستشفى الامراض العقلية، لذلك راوغت وكذبت. أخيرا، وصلت امام محطة القطار، غير بعيد عن مكان لقائنا الأول. كان هناك. كان في انتظاري متكئا على الحائط، كان وحيدا بلحية غير مشذبة، عبوسا ومكفهر الوجه. ولأول مرة اشعر بخوف كهذا. قلت له السلام السيد كورونا، لم يكترث وقال لي تفضل. جلست على درج امام محطة القطار فبدأ حديثه:

انا مظلوم، فقاطعته: بعد كل ما فعلته، انت مظلوم؟ نهرني وقال: اصمت ولا تقاطع وسأعطيك الحق في الكلام بعد انهاء مرافعتي.

انا مظلوم، ففي السنوات الأخيرة ظهرت فيروسات أخرى كالسارس سنة 2002 و 2003 وكان يقتل 9,6% من المصابين به بينما، أنا، لا أقتل سوى حوالي 2% من المصابين اما فيروس ايبولا الذي ظهر سنة 2013 فقد حصد اكثر من 7842جلهم ان لم نقل كلهم من افريقيا بينما يقدر عدد الضحايا بسببي بحوالي 10000 شخص على المستوى العالمي. اذن لماذا كل هذه الحملة الشعواء، الواسعة ضدي، ضدي دون غيري؟ اليس ذلك تمييزا وظلما؟ ربما لأني أخطأت الهدف وتجرأت على السبيرمان.

فمنذ عدة اشهر والاسيويون في حرب ضروس مع شخصي ولم يهتم الناس كثيرا بما يحدث، ولم يتوحد العالم وظلت وسائل الاعلام تتناقل صور الضحايا ومأساتهم ولم يمنع ذلك من قضاء الناس لحوائجهم بشكل عادي بينما اليوم تحركت الدعاية المكثفة فتوقف كل شيء في العالم!!!

ولكن. ولكن ماذا؟ قلت لك اصمت حتى النهاية، و أضاف:

ما الذي قمت به لتكنوا لي كل هذا العداء دون غيري، لحد الساعة فتكت بعشرة آلاف شخص ولو افترضنا اني اصبت كل سكان الأرض(حوالي 7مليارات) فلن يموت منهم سوى 2% و هو ما يقدر بحوالي 140 مليون شخص. وفي بلدكم الذي يقدر عدد سكانه حاليا ب35 مليون فسيكون عدد الضحايا اذا سمحت ظروفي بزيارة جميع الناس ب700000 شخص، ولأنك تعلم ان الوقت لا يسعفني، لأني في سباق مع الزمن، فلن يكون عدد الضحايا اكثر من 20الف شخص.

كل هذا وتقول انك مظلوم؟ نظر في وجهي متجهما، وواصل: انتم البشر منافقون. لماذا نحن كذلك السيد كورونا؟ فأجاب: اذا كان وجودي قد ازعجكم و اخافكم و اتحدتم ضدي وحاول المتسلطون منكم اظهار العالم وكانه سفينة واحدة، اما ان تغرق فيموت الجميع واما ان تنجو فيسلم العالم باسره وحاولوا بذلك إلغاء كل التناقضات الصارخة واوقفوا الاحتجاج و التظاهر واختفى حاملو السترات الصفر وتوقف الجزائريون عن التظاهر وتم التركيز على شخصي دون غيري وجعلوكم، بدعايتهم الصاخبة، وديين ومتضامنين وكأنكم يد واحدة لضربي. كل ذلك لأنكم تخشون الموت. ولكن، لماذا لا تكونون هكذا على الدوام، حريصين على أرواح البشر؟ لماذا تتفرجون بأعصاب باردة على حالات موت وإبادة متعددة ولم تتحدوا بهذا الشكل، ويكفي ان اذكرك ببعضها:

+ ما بين 1990 و1994، نشبت حرب أهلية طاحنة بين التوتسي و الهوتو بروندا، وقد ذهب ضحيتها اكثر من مليون شخص واستعملت في الحرب كل اشكال الاقتتال وكانت فرنسا ضالعة بصب الزيت على النار. و لم تفعل شيء تلك الحرب في الضمير العالمي و ظل يتفرج على جرائم الحرب وبعد بعد مرور 26 نسة لم تتم محاسبة فرنسا رغم تأكد ضلوعها في الاقتتال.

+ ما بين 1992 و 1995 وقعت حرب أبادة في البوسنة و الهرسك على اعتاب اوربا "المتحضرة". وخلال هذه الإبادة، وقعت مذبحة سربرنيتشا التي راح ضحيتها حوالي 8000 آلاف شخص ونزح عشرات الآلاف من المدنيين المسلمين من المنطقة . وتعتبر هذه المجزرة من أفظع المجازر الجماعية التي شهدتها القارة الأوروبية منذ الحرب العالمية الثانية. حيث تم قتل واغتصاب الكثير من المسلمات حتى الموت تحت مرآى من القوات الهولندية التي كانت مُكلفة بحماية المدنيين بالمدينة وقد اتهم كثير من الناجين من المذبحة القوات الهولندية بتسليم من فر من المدنيين إلى الصرب ليتم قتلهم لاحقًا.

+ منذ 2003 و العراق في حرب مفتوحة بطلها اكبر قوة على الأرض. ذهب ضحية هذه الحرب 3% من سكان العراق ، 56%منهم قتلوا نتيجة الرصاص الأميركي. وبلغ عدد اليتامى في صفوف أطفال العراق منذ الاحتلال الأميركي 4 إلى 5 مليون يتيم. وأُبعد حوالي 1.6 مليون عراقي عن ديارهم داخل العراق في الفترة الممتدة ما بين عامي 2006 و2010 واهدرت الولايات المتحدة الامريكية على تمويل الحرب مع نهاية عام 2011 مبلغا قدره 802 مليار دولار أمريكي. اليس هذا جنونا!!!

+ سوريا : انت تعلم جيدا، وربما دون ان يحرك فيك ذلك ساكنا، المأساة السورية. فقد قدّر "المرصد السوري لحقوق الإنسان"، أن عدد القتلى منذ بداية الحرب وصل إلى 511 ألف الى حدود مارس2018، وخلفت هذه السنوات 6.6 مليون نازح داخلي و5.6 مليون لاجئ في جميع أنحاء العالم، وفقا لـ "المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين."وربما تكون الاعداد اكبر بكثير.

+ اختفى من الذين حاولوا الهجرة ما بين 2014 و 2018 حوالي56800. وعندما توفي أكثر من 800 شخص في غرق سفينة في أبريل 2015 قبالة سواحل إيطاليا، تعهد المحققون الإيطاليون بتحديد هوية القتلى والعثور على أسرهم. وبعد أكثر من 3 سنوات، تم وقف تمويل هذا العمل. ولا يعرف الكثير عن عدد القتلى الذين يحاولون الهجرة من أميركا الجنوبية، كما لا يعرف الكثير أيضا عن آسيا، التي يخرج منها أكبر عدد من المهاجرين.

وبالإضافة الى كل ما ذكرته لك اريد ان اذكرك ببعض معطيات بلدك الحبيب :

+ تجاوز عدد الإصابات بالأمراض الخطيرة والمزمنة ثلاثة ملايين، والخطيران غالبية المرضى لا يستطيعون مواصلة العلاج نظرا لغلاء التكاليف، وغياب التغطية الصحية، التي لا تشمل سوى 30% في المائة من المغاربة، مما يعرض حياتهم للخطر.

+ خلال 22 سنة اختفت نصف مليون اسرة فلاحية صغيرة لأسباب اقتصادية واجتماعية فاضطرت للرحيل.

+ بسبب الشروط الاجتماعية الصعبة ، يضطر الناس للهجرة في شروط إنسانية مزرية وقد مات حوالي 230 مغربي في محاولة للعبور الى اوربا سنة 2019 لوحدها.

نظرا لكل ما ذكرت فأنا مظلوم رغم اني قاتل ، لأني لست الأسوأ من بين كل الكوارث التي ذكرتها ومع ذلك لم يتوحد العالم الا ضدي.

ولكي يلطف الجو ويروح عني بعض الشيء ابتسم وقال: لا يجب ان ينسى البشر بعض محاسني، فانا ديمقراطي ولم استثني أحدا وتجرأت حتى على منهم فوق وبسببي توقفت آلة الإنتاج وتقلصت بالتالي نسبة الغازت المسببة في الاحتباس الحراري وهو الامر الذي عجزت كل القمم المتعلقة بالبيئة على فعله، وسمحت للأجيرات و الاجراء بالجلوس مع بعضهم وخلصتهم من ضغط العمل اليومي وجعلت الازقة نظيفة و خالية من الدخان تقريبا...الخ

وما سر ظلمك؟

تنهد عميقا وحذق في وقال: هل اقنعتك مرافعتي؟

تلعثمت وقلت له رغم انك قاتل، فقد ذكرتني بمعطيات منطقية، وكررت: ما سر ظلمك؟ ضحك عميقا وقال: خذ بالك مني فأنا بالفعل خطير، ومن اجل فضولك سأظل هنا الى يوم غد لأحكي لك سر ظلمي.

.